سلسلة مطويات شبكة بينونة

ذهبت دنياهم لما أذهبوا دينهم

الشيخ د. أحمد بن مبارك بن فندال المزروعي

@BaynoonanetUAE @Baynoonanet

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده اللهم صل عليه وعلى آله وصحبه أما بعد؛

ففي هذه النسمة الإيمانية أذكر لكم قصة وردت في القرآن مفصلة ومختصرة فيها عبرة عظيمة وفيها فائدة جليلة، وهي قصة صالح عليه السلام، قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ في سورة الشمس: ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَىٰهَا ﴿١١﴾ إِذِ انبَعَثَ أَشْقَاهَا ﴿١٢﴾ فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيَاهَا ﴿١٣﴾ فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُم بِذَنبِهِمْ فَسَوَّاهَا ﴿١٤﴾ وَلَا يَخَافُ عُقْبَاهَا﴾ [الشَّمس: ١١ - ١٥] كان قوم ثمود في نعمة عظيمة وخير جليل من أمور دنياهم ﴿فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٤٧﴾ وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ ﴿١٤٨﴾ وَتَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا فَارِهِينَ﴾ [الشُّعَرَاء: ١٤٧ - ١٤٨]، فكان عندهم من الخير الدنيوي الشيء العظيم لكنهم بطروا نعمة الله جل في علاه، وعبدوا غير سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، نسوا المنعم نسوا ربهم الذي خلقهم ومنّ عليهم بهذه المنن والنعم، وعبدوا الأوثان والأصنام، فدعاهم صالح إلى توحيد الله وإلى عبادته ﴿فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ﴾ [الأعراف: ٥٩] أي معبود بحق غير الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، فلما دعاهم إلى توحيد الله وإلى عبادة الله قامت العداوة بينه وبين قومه مع أنهم يعرفون نسبه وحسبه وكمال عقله؛ لذلك قالوا: ﴿قَدْ كُنتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَٰذَا أَتَنْهَانَا أَن نَّعْبُدَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا وَإِنَّنَا لَفِي شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ﴾ [هُود

: ٦٢] الذي صدهم عن عبادة الله شبهة الأسلاف والآباء ما كانوا يعبدون من الأصنام، واتهموه بأنه من المسحرين أي أثر عليه السحر فأصبح يقول ما لا يعرف، وطلبوا منه آية وهي ناقة تخرج من صخرة، فدعا الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ فأخرجها فكانت آية عظيمة، وجعل الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ لها يومًا ترد على الماء فتشرب وإذا شربت لم يشربوا، وإنما يشربون من لبنها وكانت من بركتها تسقي القبيلة كاملة، فيوم هي تشرب ويوم هم يشربون ويريدون الماء، فلاحظ أنهم سيشربون يومًا لبنًا واليوم الثاني ماءً لكنهم ما رضوا بهذه القسمة، ورأوها قسمة جائرة بعقولهم الساذجة، وأصبحوا يدبرون ويفكرون في أمر مرير وعظيم بعد أن طلبوا هذه الآية تآمروا على قتل هذه الناقة فقام تسعة رهط ﴿ وَكَانَ فِي ٱلْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ ﴾[النَّمل : ٤٨] فتشاوروا فقام منهم أشقاهم ﴿ إِذِ ٱنۢبَعَثَ أَشْقَىٰهَا ﴾فقام أشقاهم فعقر الناقة وعصوا أمر ربهم وأمر رسوله عليه السلام، ثم لم يكتفوا بهذا الحد وإنما زادوا في الإجرام فأرادوا قتل صالح ﴿ قَالُوا۟ تَقَاسَمُوا۟ بِٱللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُۥ وَأَهْلَهُۥ ﴾[النَّمل : ٤٩] ثم لما يطالبون أولياءه بدمه يقولون ﴿ مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِۦ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴾وكان هذا مكر منهم كما قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿ وَمَكَرُوا۟ مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ [النَّمل : ٥٠] فهذا المكر عاد عليهم وهذه العاقبة رجعت إليهم فقال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَّا دَمَّرْنَٰهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥١﴾ فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةًۢ بِمَا

﴿ظَلَمُوٓاْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةً لِّقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ﴾ [النَّمل: ٥١ - ٥٢]، هذه القصة وهذه الآية يجب على المسلم أن يتأمل فيها عدة تأملات وعدة فوائد:

● **الأولى:** حرص نبي الله على دعوة الناس إلى توحيد الله، وهذه هي دعوة الأنبياء والرسل أنهم يدعون أقوامهم إلى توحيد الله، وهذا التوحيد هو أهم واجب وأعظمه، وهو الذي من أجله أرسلت الرسل ونزلت الكتب وتفرق الناس وخلقت الجنة والنار من أجل تحقيق توحيد الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

● **ثانيا من الفوائد:** ثبات النعم الدنيوية بتحقيق الأصول الدينية حقيقةٌ، اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ما خلقنا في هذه الدنيا لنرتع ونلعب ونلهو، وإنما الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لعبادته ﴿وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ﴾ [الذَّاريَات: ٥٦] فتحقيق عبادة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى هي التي تبقي لنا أمر الدنيا؛ لذلك لما أشركوا بالله وما أرادوا توحيده ولا الرجوع إلى عبادة دمرهم الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بهذا الذنب.

● **ثالثا:** أن في مخالفة الرسل الخسارة والهلاك، فصالح عليه السلام أرسل لقومه وطلبوا منه آية وهم يعرفونه صدقه ويعرفون حسبه ونسبه ورأوا الآية بأعينهم، ثم بعد ذلك كذبوا فكانت عاقبتهم أن دمرهم الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وهنا أمر جدًا مهم أنه من خالف الرسول لابد له من الانحراف والهلاك في هذه الدنيا، وكما أن مخالفة الرسل فيما قبل

أدت بالأمم إلى ما وصلوا إليه من الهلاك، فكذلك مخالفة النبي محمد ﷺ تؤدي إلى الخسارة والهلاك، ويكفينا في ذلك أن النبي ﷺ قال: «وَجُعِلَ الذُّلُّ وَالصَّغَارُ عَلَى مَنْ خَالَفَ أَمْرِي» [1] وقال ﷺ: «كُلُّ أُمَّتِي يَدخُلُونَ الجَنَّةَ إلاَّ مَنْ أَبَى»، قيلَ: وَمَنْ يَأبَى يَا رَسُول الله؟ قَالَ: «مَنْ أَطَاعَنِي دَخَلَ الجَنَّةَ، وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ أَبَى» [2].

● **خامسا:** خطر التقليد، الإنسان لابد ألا يكون إمعة، الإنسان لابد يُعمل عقله ويتدبر القرآن والسنة ويتدبر الأدلة، لا يكن إمعة يتبع كل ناعق لا يتبع الأسلاف على ما كانوا فيه من أخطاء، وإنما يعرف الصواب فيتبعه ويعرف الشر فيجتنبه.

● **سادسًا:** أنه لو كان المتآمرون على الشر قليل وبقية الناس يرضون بهذا الشر فالعقاب يعم الكل، فهناك تسعة رهط تآمروا وتشاوروا وقتل الناقة واحد منهم، ثم أرادوا قتل صالح والبقية راضون بذلك بل مساهمون متعاونون مع قومهم في ذلك، فدمرهم الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى جميعًا، كذلك الذنوب والمعاصي لابد على الإنسان أن لا يرضاها، وجاء فالذنب يفعله يفعل من في آخر الأرض فينكره من كان قريبًا منه، فلا يأثم، ويرضى به من كان في آخر هذه الأرض فيأثم بسبب الرضا بهذا الذنب، فالذنب لابد أن لا يرضاه الإنسان ولا يفرح به بل ينكره بقلبه أو بلسانه أو بفعله على

---

(١) رواه أحمد (٥٦٦٧).
(٢) رواه البخاري (٧٢٨٠).

حسب الضوابط الشرعية.

• **السابعًا:** خطر الذنوب على الأفراد والشعوب، الذنب له خطورة عظيمة على الإنسان، فالذنوب سبب لقلة البركة، الذنوب سبب لوحشة في القلب، الذنوب سبب لضيق الصدر، الذنوب سبب لعمى البصيرة، الذنوب لنفرة الخلق، الذنوب سبب لقلة الفهم، الذنوب سبب لقلة الحفظ، الذنوب السبب لبعد الإنسان عن طريق الحق، الذنوب سبب لفساد كبير وعريض إذا كان الإنسان متساهلًا فيها، وجاء عن ابن عباس أن الحبارى لتموت في جحرها بسبب ذنب يفعله بني آدم، فهذه الذنوب تؤثر على الأوطان، وتؤثر على الأفراد وتؤثر على الشعوب سواء كانت شركًا أو كبيرة من كبائر الذنوب كالزنا والربا والسرقة والرشوة وغير ذلك، كل ذنب له تأثير، وإذا عم الذنب عم البلاء.

نسأل الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أن يحفظنا بحفظه، وأن يطهر قلوبنا ويصلح سرائرنا، ويغفر لنا لكم ولأمهاتنا وآبائنا، وأن يحفظنا بحفظه ويحفظ بلادنا، ويوفق ولاة أمرنا لكل خير، وصلى الله على نبينا محمد.